**مضمون الخطاب الشعري في العصر العباسي:**

**تقديم:**

الشعر في كلّ أمة، خاضع لتطور حياتها في لنواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فهي التي تحدّد مجراه ومساربه واتجاهاته، وهي التي تفرض عليه ما شاءت من التغيرات، فينتقل من طور إلى طور، وتتغير موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه، وتستشار فيه معان جديدة لم تكن موجودة، وتغلب عليه صياغة لم تكن مألوفة.

وبقدر هذه التغيرات التي تحدث في حياة أمة، يكون خطر التغيرات التي تحدث في تطور الشعر والأدب عامة، لهذا كان لابد أن نلم بشيء من تلك التغيرات التي طرأت على الحياة العربية في العصر العباسي ومدى تأثيرها على لأدب شعره ونثره.

ومن الطبيعي أن يحدث التطور في حياة لجماعة الإسلامية بعد الفتوحات، فبعد أن كانت جماعة عربية خالصة إلا من جاليات صغيرة حبشية وفارسية منتشرة في الحجاز، تقوم بالخدمة، أو تصطنع الغناء، أو المتاجرة بالعطور وما أشبه، أصبحت تلك الجماعة مزيجا من العرب والأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام بعد الفتوحات. لقد أصبحت عقلية هذا الجماعة وحضارتها مزيجا من عقلية وحضارة العرب والأمم التي امتزجوا بها بعد اعتناقها الإسلام.وبعد أن كان العرب الفاتحون هم الجنس السائد الذي يصرف لأمور ويديرها، أصبح للموالي صوت أخذ يقوى شيئا فشيئا منذ وقت مبكر في القرن الأول الهجري، حيث كانت تتم عملية الاختلاط بين العرب والأجناس الأخرى بعد فتح بلادهم،

فنجد الموالي يشتركون لأول مرة في ميدان الخلافات السياسية وذلك في حرب الحرة عام 63هـ حيث انتصروا للحزب الزبيري ضد الدولة الأموية الحاكمة.ويقول شاعرهم ـ أو حرة ـ وهو يتكلم باسمهم في المدينة:

أبـــلغ أمـــية إن عرضـــــــــت لهــــــــــا وابن الــــزيـــــر وأبلغ ذلـــــك الــــعربـــ

أنّ الموالي أضحت وهي عاتبة على الخليـفة تشكو الجـوع والجربا

إن حركة الفتح الإسلامي لم تهدأ طوال القرن الأول، ففي عهد معاوية كان الفرس متربصين بالعرب الدوائر في ما وراء المدائن وجلولاء في منطقة الجبال وما وراءها، وفي منطقة فارس.وظل الأمر كذلك حتى استتب أمر العراق للحجاج فوجه الجيوش على هذه المناطق، وقد شملت الفتوحات الإسلامية في لعصر الأموي ثلاث مناطق كبرى، هما: المناطق الفارسية الصرفة، والمناطق الفارسية التركية فيما وراء النهر، والمناطق الهندية في السند. وقد نتجت عن فتوحات هذه المناطق المتنوعة آثار كبرى في حياة لجماعة الإسلامية.

والواقع أنّ حياة الجماعة لإسلامية علة اختلاف مناهجها، كانت تشكل وتتجدد في خلال القرن الأول الهجري.فقد نشأت في خلال طبقة جديدة مولدة أو خالصة العروبة ولكنها جديدة في طرائق تفكيرها وفي حياتها الاجتماعية، وفي منابع ثروتها الاقتصادية، وفي ثقافتها. وهذه الطبقة بعيدة عن الصحراء، ومثلها وما تفرضه على أبنائها من طرق التفكير والنظر.وكان العامل السياسي اهم العوامل شأنا، بالنسبة للعوامل الأخرى، في أحداث تطور الجماعة الإسلامية ي القرن الأول وما تلاه.

تلك أهم المؤثرات التي أخذت تحدد شك الجماعة الإسلامية وظروفها المختلفة إبان القرن الأول.أما أهم المؤثرات التي أثرت على الجماعة الإسلامية في العصر العباسي، وبالتالي كان لها تأثير على الحركة الأدبية، فهي:

**\* التأثير السياسي:**

كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد ولي الخلافة، وكان غير ثقة، منادما للفسّاق، وكأنما كان إشارة الوقت لما أدرك الخلافة الأموية من ضعف وفساد، فاستغل ذلك أبو سلمى الخلال ودعاته أيها استغلال في خراسان.فقد بدا في وضوح فساد الحكم، كما بدا فساد النظم الاجتماعية التي رزح الموالي تحت أثقالها، وتراءى حينئذ في الأفق أن سلطان البيت الأموي يؤذن بالسقوط، لا لما انتشر فيه من فساد الطرف فحسب، بل أيضا لما نشب من خلاف عنيف بين أفراده، إذ لم يلبثوا أن قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد المالك وأخذوا يتطاحنون على عرش الخلافة تطاحنا مرا، وتغلب أخيرا مروان بن محمد غير أنهم نابذوه وثاروا ضده، وانتهز الخوارج الفرصة، فنازلوه في الموصل وفي اليمن وفي الحجاز.

وفي هذه الأثناء تولى أبو مسلم الخرساني قيادة الدعوة في موطنه، وكان من دهاة الرجال، ومن أكفئهم في النهوض بجلائل الأعمال، فاخذ يصور للناس فساد الحكم الأموي وما يسومهم به في خف وظلم، وكيف انه سيملكهم الأرض ويجعلهم سادة، والناس في خراسان يسمعون له، ويحفون به، وينضمون إلى دعوته حتى كثر جمعهم، وحتى غدا نزاله لنصر بني سيار والي الأمويين هناك قاب قوسين أو أدنى. غير أنه رأى أن يتمهل قليلا قبل أن يبدأ مغامرته الخطيرة متخذا لها من الأسباب ما يكفل النجاح.ولم يلبث أن عمد بدهائه إلى الإيقاع بين الكرماني ومن معه من القبائل اليمنية، وبين نصر بن سيّار ومن معه من القبائل المضرية، واشتعلت الحرب بين الفئتين، وسفك فيها كير من الدماء.حتى إذا وهنت قوة نصر بن سيّار، أعلن أبو مسلم الثورة عليه وعلى من ورائه من الأمويين وأخذت رايات العباسيين السوداء تخفق فوق جنوده وحواضر خراسان تسقط واحدة اثرى أخرى في يده. ويستصرخ نصر بن سيّار مروان بن محمد، وابن هبيرة واليه عال العراق أن يمداه بالنجدات، ولكنها كانا في شغل عنه بثورات الخوارج في العراق وغير العراق، وما تلبث أن تتقدم جيوش أبي مسلم مستخلصة المدن والحصون حتى تقتحم العراق فيسرعوا ابن هبيرة للقائها ولكن تدور الدائرة عليه كما دارت على نصر بن سيّار من قبله، وتدخل الجيوش الكوفة، وتبرز حكومة بن العباس السرية وعلى رأسها أبو سلمى الخلال.

واتجه أبو العباس إلى المسجد الجامع في الكوفه فبايعه الناس، وارتقى المنبر فاشرأبّت إليه الأعناق، وأصغت إليه الآذان، فإذا هو يحتج بآي القرآن الكريم على أن بيته العباسي أحق بالخلافة من بيت العلويين، مبينا فضل الخراسانيين في تحرير الأمة من نير الأمويين ومن حكمهم الباغي.

وكانت الجيوش العباسية قد اتجهت لمتابعة مروان بن محمد بقيادة عبد الله بن علي عم السفاح، فالتق به على التراب شمال العراق وهزمته هو وجيشه، فولى مع بعض أصحابه إلى حران فدمشق فمصر، وهناك لقي حتفه في بوصير من بلدان الصعيد سنة 132هـ

ورأى العباسيون أن يتخذوا من العراق مركزا لهم، وموئلا لخلافتهم . واتخذ السفاح الهاشمية مقرا لدولته، ولم يلبث أبو جعفر المنصور أن بنى بغداد لتكون مقرا لخلافته.

أما أهم الأسس التي استخدمها العباسيون للوصول إلى غايتهم وإقصاء الأمويين عن الحكم، لا بل القضاء عليهم، فهي:

1 ـ بدأ العباسيون دعوتهم منذ وقت بعيد عن طريق الدعاة والنقباء الذين انبثوا بين الناس يبشرون بهذه الدعوة الجديدة، ويصورونها للناس تصويرا دينيا أخاذّا، في حين أنها كانت دعوة سياسية.

2 ـ لما كان المذهب الشيعي هو السائد في العراق وخراسان، وخاصة بين الموالي، عمل العباسيون على توحيد جهودهم مع الشيعة في الدعوة، حتى بدت الدعوتان في أول الأمر شيئا واحدا، وبذلك كسبت الدعوة العباسية جميع أنصار الشيعة، فلما انفصلت الدعوتان بقي هؤلاء الأنصار عدد كبير يؤمنون بالدعوة العباسية فحسب.

3 ـ نظرا لهذا الارتباط بين الدعوة العباسية والمذهب الشيعي السائد بين الموالي، اهتم العباسيون اهتماما بالغا بتوجيه دعوتهم إلى الموالي، واختاروا أغلب نقبائهم منهم. وكانت الأمنية الجميلة التي يمنى هي المواساة، ولهذا أخذوا ينضمون إلى جيش أبي مسلم بأعداد كبيرة متزايدة، وخاصة أولئك الدهماء من الفرس الذين وجدوا في الدعوة العباسية الخلاص من الحكم الأموي الذي كان يظهر لهم محابيا للعرب، أو هكذا صوّره الدعاة العباسيون وخاصة أبو مسلم الخراساني.

4 ـ أمر العباسيون أبا مسلم بالعمل على التفرقة بين القبائل العربية حتى يشغل العرب عن تجمع الموالي والرقيق من الفرس وغيرهم. وقد نجح أبو مسلم في ذلك نجاحا كبيرا، فشغل لعرب عما يحيط بهم حتى أفلت الأمر من أيديهم وصار إدراكهم للموقف بعد فوات الأوان، وقد أوضح العرب انزعاجهم الشديد لحركة الوالي والرقيق هذه في شعر كتبه نصر بن سيّار يستمد يزيد بن عمر بن هبيرة على أبي مسلم، فيقول:

أبلغَ يزيد وخيـــر القـــول أصـــدقه وقد تبينت ألا خيــــر في الكذب

أن خــراسان أرض قد رأيـــت بها بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب

ثم خاطب نصر العرب من نزراية ويمانية وحذرهم هذا العدو الداخل عليهم بينما هم منصرفون إلى خلافاتهم في قوله:

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم عزب

وتــــتــركـــــون عــــدوا قد أظــــلكـــــــم ممــــا تأشّــــــب لا ديـــــن ولا حســـب

قدما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولم تنزل به الكتب

5 ـ نجح العباسيون في اختيار مكان دعوتهم، فقد بدؤوها في لكوفة حيث كثرة من الوالي المتشيعين الساخطين على بني أمية، ولما تبين العباسيون أن الميول العلوية في الكوفة قوية جارفة، وأن الروح القبلية فيها والعصبية العربية ما زالتا متمكنتين منها، نقلوا مركز حركتهم إلى خراسان.

وبهذه السياسة استطاع العباسيون القضاء على قوة الأمويين في موقعة الزاب ونقل مركز الخلافة بزعامتهم من الشام إلى العراق.

وقد كان لهذه الأحداث تأثيرها على الشعراء فعبروا عن كل ذلك بأشعارهم تعبيرا دقيقا.

**\* التأثير الاجتماعي:**

لما فتحت العرب العرق وإيران، استفادوا من حضارات الأمم التي سكنتهما وهي الكلدانية والأرامية والساسانية، ولما فتحوا الشام ومصر استفادوا من حضارات أممها البيزنطية والسامية والمصرية، وأخذوا يكونون من تراثهم العربي الخالص ومن هذه الحضارات، حضارة جديدة متشربة بروح الإسلام وتعاليمه.

وكان نتيجة لهذه الفتوحات الكثيرة أن امتلأت خزائن الدولة بالمداخيل الجديدة من غنائم، وقد ساعد هذا نشوء الترف والبذخ.

ولعلنا نستطيع أن نقول إن تأسيس بغداد كان نقلة جديدة لتطور المجتمع الإسلامي وإغراقه في الحضارة ومظاهرها المادية وانغماسه أكثر فأكثر في أساليب الحياة الأجنبية عنه.

وحتى تخطيط بغداد يظهر في الأثر الفارسي، ـ كما يقول عبد العزيز الدوري ـ إذ فصل الخليفة عن الرعية، وجعل له مقاما ساميا يصعب الوصول إليه.

وقد أبلغ الترف والعبث أقصى مداه أيام الخليفة الأمين، كما تفجرت بغداد بعد فتنة الأمين والمأمون بضروب الفسق وأنواع المجون، ولما رأى الناس شيوع الفساد في مجتمعهم على أيدي فئة لا تخاف الله ولا تخشى، قامت فئة صالحة تنعى على هؤلاء فسقهم وتحذر الناس بكارثة لا تحمد عقباها.

والحقيقة أن التيار المضاد لما لم يكن شيئا جديدا في المجتمع الإسلامي في القرن الثاني للهجرة، ظهر على أثر اندلاع الفتنة بين الأمين والمأمون، ولكنه كان موجودا دائما، وكان يقوى ويشتد كلما أغرق المجتمع الإسلامي في لهوه وانكب عللا ملذاته، وكأن العصر العباسي قد شهد تيارين متضادين، كل منها يمضي إلى غايته: تيار المجون، وتيار الزهد، ويقد وقف الشعراء يرصدون كل ذلك بأشعارهم بعيدا عن اعداءات المؤرخين وتزيّد الرواة.

**\* التأثير الثقافي:**

ما إن توالت الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون، يعلون كلمة الله، وينشرون راية الإسلام في كل بلد دخلوه، حتى مضت اللغة العربية ترافق هذه الفتوحات وتشق طريقها في البلدان المفتوحة، وتحرز انتصارات متوالية في الشام والعراق، وشمالي افريقية والأندلس.

إن الذي ساعد على انتشار اللغة العربية بهذه السرعة، في الأقطار المفتوحة، هو ارتباطها القوي بالإسلام كدين في ذاته، وكدعوة سرت في المجتمعات الجديدة سريان النور في الظلام، فآمن بها عدد كبير من الناس، وأقبلوا على اعتناقها في حماسة وقوة، ولقد وجد هؤلاء الناس الذين دخلوا في الإسلام زرافات ووحدانا، وجدوا أنفسهم محتاجين إلى تعلم اللغة العربية وإتقانها لفهم هذا الدين، ومن ثم حمله والتعبد به، والتقرب إلى الله، ومن هنا بدأ الصراع بين العربية وبين اللغات المحلية في الأقطار الأخرى المفتوحة، وقد وضح أن نتيجة هذا الصراع في جانب اللغة العربية، بدليل انتشارها الواسع في هذه الأقطار.

ويرى بعض الباحثين أن انتصار الغربية على اللغات المحلية، لا يعني القضاء على تلك اللغات قضاء تاما في يوم وليلة، ولكن الذي حدث أن اللغة العربية اصطدمت بهذه اللغات، فأخذت تقضي عليها شيئا فشيئا، ولكن بعد أن استوعبت ما تريد من هذه اللغات لتجدد شبابها وحيويتها، وليمكنها مسايرة الحياة المتحضرة الجديدة التي بدأ العرب يحيونها منذ القرن لأول.

وكان أقوى اللغات المحلية مقاومة اللغة الفارسية، فكما تأثرت بالعربية فقد أثرت هي أيضا باللغة العربية، وذلك لكثرة من دخل في الإسلام من الفرس، ولمكانتهم المتميزة في الدولة الإسلامية. فالشاعر أسود بن أبي كريمة يخلط بين العربية والفارسية في شعره إذ يقول:

لــــــــزم الــــــــغـــــــــــــرّام ثـــــوبــــــــــــــي بــــــــــكـــــــرة فـــــــــي يـــوم سبــــت

فتمـــــــــــايلــــت عـــــــليــــــهـــــم مــــــيل (زنـــــجي بمـــســــــت)

ويعزو الدكتور محمد مصطفى، مدى تأثير الفارسية باللغة العربية دون غيرها من لغات الأمم المفتوحة إلى طغيان الحضارة الفارسية على غيرها من الحضارات، كما يرجع إلى تأثير الفرس القوي في البصرة والكوفة بالذات، وهما مركزان إسلاميان خطيران في الحياة الثقافية والعقلية العربية، فقد ورد على البصرة والكوفة عدد كبير من التجار والصناع والزراع الفرس، فكوّنوا مع أسرى الحرب ذوي الأصل الفارسي أغلبية السكان، حتى أصبح للفارسية مجال في هاتين المدينتين إلى جانب العربية.

وقام الموالي والرقيق أيضا بدور خطير في تأثير العربية بالفارسية على وجه الخصوص. ومن الطبيعي أن معرفتهم باللغة العربية لم تكن تامة ولا صحيحة في أغلب الأحيان، لهذا كانوا يدسون في كلامهم كثيرا من ألفاظ لغاتهم الأصلية، كما كان نطقهم العربية في كثير من لأحيان مدعاة للسخرية، مما دفع شاعرا كأبي عطاء السندي أن يعهد بقراءة شعره إلى شخص آخر كما يذكر هو نفسه بقوله:

أعوزتني الرواة يا ابن سليم وأبى أيقيم شعري لساني

وغلا بالذي أجمجم صدري وجفاني لعجمتي سلطاني

وازدرتني العيون إذ كان لوني حالكا مجتوى من الألوان

وقد تعدّى تأثير الفارسية بالعربية إلى نواح أخرى كالأسماء الفارسية التي أطلقت على مظاهر الحضارة المختلفة من أنواع الأطعمة والملابس والأزهار والرياض وغير ذلك، فنظام العطاء الذي وضعه عمر بن الخطاب ذو أصل فارسي، بل كلمة " الديوان " نفسها فارسية.ويروي الصولي مناظرة بين فارسي وعربي تكشف لنا أثر الفرس الواضح في الحضارة العربية، قال الفارسي: " ما احتجنا إليكم قذ في عمل ولا تسمية، وقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم، حتى أن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا، ما غيرتموه "

أما الدكتور عبد العزيز الدوري فينفي هذا التأثير الكبير الذي لعبه الفرس في الثقافة العباسية، وهي ناتجة عن محاولات الشعوبين في أثناء خصومتهم الطويلة مع العرب أن ينسبوا كل أنظمة العباسين وثقافتهم إلى الفرس.

من كل ما سبق، نجد أن العصر العباسي، وبشكل خاص القرن الثاني، قد شهد حركة عقلية ضخمة أمدتها روافد كثيرة، أولها الثقافة العربية الأصلية التي تتمثل في الشعر والقرآن والحديث وعلوم اللغة العربية، وقد أحرزت هذه العلوم جميعها تقدما كبيرا في هذا القرن، بل إن بعضها قد أنشء انشاء جديدا كالنحو والعروض مثلا، كما جمع التراث الشعري القديم لأول مرة ودوّن في ذلك العصر.

وقد تأثر الشعراء بكل هذه الثقافات وظهرت في أشعارهم، ومن أمثلة ذلك قول أبي نواس:

ألم تر الشمس حلت الحملا وقام وزن الزّمان فاعتدلا

وغنّت الطيـــر بعد عحـــمتها واستوفت الخمر حولها كملا

ونرى من هذا الشعر أن أبا نواس متفنن في العلم، قد ضرب في في كل نوع منه بنصيب، ونظر مع ذلك في علم النجوم.

كما يثبت ابن قتيبه معرفة أبي انواس بعلم الطبائع، لقوله:

سخنت من شدة البــــــرودة حتـــى صرّت عندي كأنك النار

لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

ويفسر ابن قتيبة ذلك المعنى بقوله: " لأن الهند تزعم أن الشيء ‘ذا أفرط في البرد عاد حارا مؤذيا "

أما اتجاهات الشعر الموضوعية في العصر العباسي، فقد نحت مناحي عدة منها ما كان في المجون، والزهد والتصوف، والزندقة، والشعوبية، والشعر التعليمي.

**1ـ حركة التجديد:**

لعل أبرز حركة تجديدية ظهرت في العصر العباسي ما سميت بمذهب الصنعة أو التصنيع أو الزخرفة والزينة يكاد يعم في كثير من جوانب الحياة العباسية، فقد كانت قصور الخلفاء والأمراء، وكثير من القادة والوزراء والأشراف تكتظ بالستور والبسط المعلقة على الحوائط والنوافذ بألوانها الزاهية وما عليها من التصاوير المذهبة، كما كانت الحيطان والسقوف والأبواب تذهب وتفضض.

ولم يكن الشعراء يعيشون بعيدا عن هذا الجو من للتصنيع والزخرفة والزينة، فقد كانوا ينادمون الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، ويختلطون بالجواري والإماء، ونال كثير مهم من الأعطيات ما جعلهم يعيشون في ترف ونعيم بالغ، بل جعلهم يحققون كل ما يريدون من تصنيع وتنميق في حياتهم.

ويقول صاحب الأغاني عن سلم الخاسر: " وكان يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم، والسرج واللجام المقذوذين، ولباسه الخزّ والوشي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والطيب تفوح منه "، وكان غير سلم يصنع تصنيعه في حياته وثيابه وطيبه.

وأخذ هذا التصنيع والتنميق يتسرب من حياة الشعراء العامة إلى حياتهم الفنية الخاصة، وليس الشعر وحده الذي أخذ يسرد فيه هذا التصنيع، فقد كان يشيع في فن العمارة وبناء المساجد والقصور، كما كان يشيع في التصوير، فلا عجب أن ينتقل إلى الشعر، وأن ينمو مع الزمن حتى تصبح القصيدة كأنها واجهة المسجد مزخرف بديع، قد تألق في وشي مرصع كثير.

ويرى الدكتور شوقي ضيف تسمية هذا المذهب بمذهب الصنعة أو التصنيع، وليس البديع، ذلك لأن كلمة البديع معناها الطريف، ولا تعطي معنى الزخرف والزينة، بخلاف كلمة التصنيع التي تدل بمعناها على التأنق والتنميق.

أما ابن المعتز فيرى أن البديع بمعناه الاصطلاحي المحدث إنما كثر عند بشار ومسلم بن الوليد وأبي تمام، وإن كان أبو تمام قد أكثر منه وجعله مذهبا له في نظمه، أما صاحب الأغاني فيجعل بشار بن برد هو شيخ مذهب البديع في العصر العباسي وليس أبو تمام ولا مسلم بن الوليد، ويقول عن بشار: " ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة، ورياسته من غير اختلاف في ذلك "

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن أبا نواس وبشار والنمري والعتّابي لم يتخذا التصنيع والبديع مذهبا، غير أن مسلم بن الوليد أول من عاش لهذا المذهب ينميه، وتناوله منه أبو تمام فبلغ به الغاية.

أما ابن قتيبة فيرجع الفضل في نشأة هذا المذهب وتنميته إلى مسلم بن الوليد، بقوله: " وهو أول من ألطف في المعاني، ورقّق في القول وعليه يعوّل الطائي في ذلك"

فمسلم بن الوليد هو صاحب هذا المذهب الجديد من التصنيع، وهو الذي اقترح له اسمه البديع، على أن اعتناقه له لا يعني أنه قضى على المذهب القديم مذهب الصنعة، فقد مضى الشعراء في القرن الثالث الهجري يقفون في صفين متقابلين، منهم من يفهم الشعر على أنه تصنيع وزخرف وتنميق مثل أبي تمام وابن المعتز، ومنهم من لا يبعد في فهمه كل هذا البعد مثل البحتري وابن الرومي.

ومسلم بن الوليد في شعره يعتمد اعتمادا شديدا على الإطار التقليدي وما يرتبط به من جزالة الأسلوب ومتانته، حتى في غزله وخمرياته، فإنه لا يهبط أبدا علة نحو ما يهبط أبو نواس وأبو العتاهية، فشعرهما فيه القوي والضعيف، وفيه المتين والمهلهل، فهما يقولان الشعر بديهة وارتجالا في غير تروّ، أما مسلم فصاحب رويّة، لا يرتجل، ولا يقول الشعر عفوا، فالشعر عنده صناعة مجهدة، لا بد فيها من التريث والتمهل، ولابد فيها من الصقل والتجويد، ولعلّ ذلك ما جعل ديوانه صغيرا بالقياس إلى دواوين معاصريه من أمثال بشار وأبي نواس.

ولابد أن نسوق مثالا من شعره بين مسلكه في الشعر، حيث اتخذ البديع مذهبا له مع اعتماده على قوة الشعر وجزالته، يقول في مدح يزيد بن مزيد مستهلا قصيدته بالغزل:

أجررت حبل خليع في الصبا غزل وشمرت همم العذال في العذل

هاج البكاء على العين الطموح هوى مفرق بين توديع ومحتمل

والجهد واضح في الأبيات سواء من حيث اختيار الألفاظ، أو من حيث زخارف الجناس والطباق، فهو يجانس بين العذّال والعذل، وهو يطابق بين المختبل وغير المختبل.

أما في مديحه، فتراه كليه على هذا الطراز:

يغشى الوغى وشهاب الموت في يده يرمي الفوارس والأبطال بالشعل

يفترّ عند افتــــرار الحــــــــرب مبــــــتسمــــــا إذا تغير وجه الفارس البطل

موف على مهــج في يــوم ذي رهــج كأنــــــه يســـــــــــــعى إلـــــــى أمــــــل

ففي هذا الأبيات يعتمد على النحت وقوة البناء، كما يعتمد على الزخرف والتصنيع حتى يصبغ هذا الديباج أو النسيج المتين بالألون والأطياف، فإنك تراه يستعير الشهاب للسيف ويجعله شهاب الموت، وهو شهاب تسقط منه فوارس الأعداد الشعل فتحرقهم حرقا لا يبقى ولا يذر، أما الجناس والطباق فتلاحظه بين يفتّ وافترار، وطابق بين تغير الوجه وعبوسه وابتسام يزيد، كل ذلك ليحقق لشعره ما يستطيع من زخارف الفن الجديد.

ويعلق الدكتور شوقي ضيف على ذلك بقوله: " فهو يحس إحساسا دقيقا بأنه يتناول حرفته بطريقة أخرى ليست هي طريقة الصانعين من أمثال أبي العتاهية، إنما هي طريقة المصنعين التي ابتدأها والتي تجعل الشعر نحتا وصقلا وزخرفة وتنميقا "

أما أبو تمام، فهو أهم شاعر يمثل مذهب التصنيع في القرن الثالث الهجري، فقد انتهى هذا المذهب عنده إلى غاية التي كان يرنو إليها شعراء العصر العباسي من زخرف وتنميق.

وكان أبو تمام ذا ذكاء حاد، استخدمه استخداما واسعا في تمثل الشعر الذي سبقه من قديم وحديث، فقد وعى وعيا دقيقا صورة الشعر العربي بجميع خطوطها وألوانها، وانتحى ناحية مسلم بن الوليد في بديعه، إذ كان ذوقه ذوق متحضرين يغرم بالتصنيع والزينة حتى في ثيابه ومطعمه، فهو يقيم قصائده وكأنه يرفع تماثيل باذخة.

وتقرأ أشعاره فتحس بقوتها، لكنك مع ذلك تلمس تنميقا وزخرفا لفظيا ومعنويا يروعك ظاهره وباطنه لما يودعه فيه من خفيّات المعاني وبراعات اللفظ.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن من يقرأ شعر أبي تمام يحس إحساسا واضحا بأنه كان يشقى في بنائه واستنباط معانيه كما يشقى صيادو اللؤلؤ، فهو يتنفس فيه الدم، وكان يشعر بذلك في دقة، فأكثر من وصف أشعاره بالإغراب والغرابة على شاكلته قوله:

خذها مغربة في الأرض آنسة بكل فهم غريب حين تغترب

وقوله:

يغدون مغتربات في البلاد فما ينزلن يؤنسن في الآفاق مغتربا

فهو يطلب الإغراب في فنه حنى يسبغ على شعره كل ما يمكن من آيات الفتنة والروعة، وقد عاش لشعره ينمقه ويوشيه ويرصعه. وبهذا يصور شعره بقوله:

خذهـــــــــا مثقـــفة القــــوافي ربّهــا لسوابغ النعماء غير كنّود

حــذاء تملأ كــل أذن حـــكمة وبلاغة وتدر كل وريد

كالدرر والمرجان ألف نظنه بالشذر في عنق الفتاة الرّود

كان أبو تمام يستخذم في صناعته الشعرية هذا النسيج المنمق الموشى وتقصد به تلك الألوان التي تسمى بالطباق والجناس و المشاكلة والتصوير، ويضيف أبو تمام إلى هذا شيئا آخر من الثقافة والفلسفة التي هضمها هضما سليما وتمثلها بشعره فزادته جمالا على جماله.

ويقول البقلاني وهو يصف استخدام أبا تمام: " لألوان البديع حيث أسرف في المطابق والمجانس ووجوه البديع من الاستعارة حتى استثقل نضمه واستوخم رسفه "

حيث ينظر إلى مطلع هذه القصيدة قالها يمدح خالد ابن يزيد وقد عزم المعتصم أن يوله الحرمين ثم رجع عن عزمه:

يــا موضع الشدانيــة الوجنــاء ومصارع الإدلاج والإسراء

أقري السلام معرفا ومحصبا من خالد المعروف والهيجاء

إن الدارس لهذا الشعر يلاحظ اهتمام أبا تمام بالجناس اهتماما واضحا وهو يمدح خالد ابن يزيد الشيباني وكان واليا على الثغور، ثم غضب عليه المعتصم وأراد نفيه، فرغب خالد أن يكون خروجه إلى مكة، ثم شفع فيه أبا داوود فاستقر على حاله، وقد استغل أبو تمام هذا الوضع فجاء يقري أهل مكة السلام من خالد المعروف بفعل الجميل وشجاعته في الحروب، من بين الجناسات وحراء وبطحاء وتبطحت...إلى آخر هذه الجناسات كثيرة، وقد أكثر منها كثرة مفرطة وإنما الذي يلفت حقا في جناسه هو جمال التصوير.

وأقرأ هذه الأبيات في مطلع في إحدى قصائد لابن الزيات:

متى أنت عن ذهليـــة الــحي جاهل وقلبك منها مدة الدهر آهل

تطل الطلول الدمع في كل موقف وتمثل بالصبر الديار المواثل

وجمال وشى أبا تما في شعره ليس قادما من إكثاره للجناس، وإنما جماله ناشئ من جمال التصوير حيث ترى الطلول تطل الدمع، والربيع لا يجفو الربوع ولا يمر بها غافلا، ثم تلك السحائب التي تجرد أذيالها، وتلك الخمائل التي أخملت بالنور.

وهناك جانب آخر في شعر أبي تمام يكسبه جمالا، لا يقف عند الألوان القديمة من التصنيع التي ينهج بها الحس، حيث أن هذه الألوان تتسرب إليه من الفلسفة والثقافة العميقة كالطباق والجناس والتصوير والمشاكلة، كل ذلك يزدوج بالفلسفة والثقافة القائمة، فيجلله الغموض في كثر من جوانبه وأجزائه.

وقد وقف العباسيون طويلا عند هذا الجانب من الغموض الفني عند أبي تمام وتحدثوا عما فيه صعوبة والتواء ولم يتحدثوا عن ما فيه إبداع وجمال، يقول الآمدي: " إنه ينسب إلى غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يريده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج "

ويقص الآمدي أن ابن الأعرابي اللغوي المعروف سمع شعره فقال: " إن كان هذا شعرا فكلام العرب باطل " ويروى أن أبا العميثل سمع أبا تمام ينشد إحدى قصائده فقال له: " لماذا لا تقول ما يفهم ؟ فأجابه أبو تمام على البديهة: وأنت لماذا لا تفهم ما يقال؟."

ومهما يكن فإن شعر أبا تمام يستحوذ على صعوبات كثيرة يحتوي على كثير من الأسرار الغامضة التي تجعل الإنسان يخرج عن نطاق نفسه، ويسير مع الشاعر كما يريد له.

أما ما فيه صعوبة التواء فذلك طبيعي عند شاعر كان يعتمد في شعره على الفلسفة والفكر الدقيق، وكل عبارة إنما هي بحث وتجربة، وقد يخطئ أحيانا في بحثه وتجربته لأن اللغة لم تتعود لتعبير عن مثل هذه الأبحاث والتجارب، كما يقول شوقي ضيف، لكن هذا الغموض أكسبه عمقا وبعدا في الفكر والخيال، كما أكسبه دقة في التفكير وعمقا في التصوير، ومن ذلك قوله في وصف روض:

ومعرف للغيث تخفق فوقه رايات كل لجنة وصفاء

نشرت حدائقه فصرن مآلق لطرائف الأنواء والأنداء

فقد عبر عن السحب التي يتلألأ البرق في أطرافها بالرايات المطرزة التي تخفق بالريح، وأنظر إلى بعد في الشطر الأول من البيت إذ ذهب يقول: " إن مسك الطل يسقي الروض كافور الندى، وهي صورة معقدة، فماذا يريد أبو تمام بمسك الطل؟ وماذا بكافور الندى؟ أما مسك الطل فإنما يريد به الرائحة العطرة التي تعبق من الروض إثر الطل والمطر الخفيف، وـما كافور الندى فإن ذلك الرشاش الذي تعقل قطراته بيضاء على أوراق الروض كالكافور، وليس من سكت في أن هذه الصورة مركبة ولكنها تعبق بالمسك والطيب.

وهكذا في كل أشعار أبا تمام نجد إكثار من الجناس والطباق وإيغالا من التعقيد وجمال تصويره ما يزيل تعقيده ويجعله في أزهى صورة وأجملها.

**\*شعر المجون:**

ورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني الفارسي من أدوات لهو ومجون، وساعد ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فإذا الفرس المنتصرون يمعنون في مجونهم ويمعن معهم الناس، وإذ بفئة من هؤلاء الناس تقبل على المعصية وتعاقر الخمرة معاقرة صريحة، مع أن القرآن الكريم قد حرّم الخمر تحريما قاطعا بنصوصه الصريحة، كقوله عز وجل: " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون "

وكان من أسباب انتشار الخمر وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذه كنبيذ الطمر والزيت المطبوخ ونبذ العسل والبر والتين. فشرب الناس هذه الأنبذة وشربها الخلفاء وفي ذلك يقول ابن الرومي:

أبـــاح العراقـــي النبــــيذ وشــربه وقال حرامان: النذامة والسكر

وقال الحجازي الشرابان واحد فحل لنا من بين قوليهما الخمر

سآخذ من قوليـــهــما طرفيهمــا وأشربهما لا فارق الوازر الوزر

وابن الرومي يريد بالحجازي الشافعي، وبالعراقي أبا حنيفة، وقد استحدث لنفسه مذهبا ثالثا، لم يحل فيه الأنبذة فحسب بل أحل أيضا الخمر.

ولابد لنا أن نعود إلى معنى كلمة مجون لغة، لنرى مدى تطابقها مع المعنى الاصطلاحي، فمجنت الأرض مجونا: إذا صلبت وغلظت، ومن هنا جاء اشتقاق كلمة " ماجن " لصلابة وجهه وقلى استحيائه. ومعناها: أن لا يبالي الإنسان ما صنع وما قيل له، وذكر أن الماجن عند العرب هو الذي يرتكب المقابح.

أما اصطلاحا: ارتكاب الأعمال المخلة بالآداب العامة، والعرف والتقاليد دون تستر أو استحياء، ولهذا نجد أن المجون ظاهرة خطيرة في أي مجتمع إنساني وخاصة إذا انعكس في هذا المجتمع كما حدث في القرن الثاني، بالإضافة إلى ارتباط المجون بالأغراض الشعرية، مثل الخمريات والزندقة والغزل بالمذكر، وما إلى ذلك.

ويبدو أن الدكتور طه حسين فيرجع انتشار المجون في العصر العباسي إلى الفرس بقوله: " لم يكد يبتدئ القرن الثاني حتى ظهر المجون وانتشر ووصل إلى قصور الخلفاء، ثم كانت ثورة العباسيون فتم انتصار الفرس على العرب، وانتقل مركز الخلافة من الشام إلى العراق فأصبح الأدب عراقيا، لا شاميا ولا بدويا ثم كتب بتأثير الفرس وحضارة الفرس، فتم انتصار العبث والمجون.

ويضيف الدكتور هدارة: وليس التأثير الفارسي وحده هو الذي كان وراء تجار المجون الذي أغرق جانبا من المجتمع الإسلامي، ولكن انتشار مذاهب الغلاة من الشيعة كان لها تأثير خطير في مد هذا التيار برواصد قوية، في سبيل تعليم الإسلام وفضائله وتقاليد العرب السامية وقد كان المجون مرتبطا بتاريخ الحركات الشعرية المتطرفة وقد نبه المستشرق فاليوزن، على وجود وصلات قديمة بين غلاة الشيعة والمجان عند حديثه عن الثورة الشيعية المتطرفة التي قام بها عبد الله ابن معاوية عام 126 هـ، وقد وصف الأصفهاني ذلك الرجل بأنه كان ماجنا فاسقا وكان يحيط يحيط نفسه بالملحدين.

ويبدو أن غلاة الشيعة هم الذين ساعدوا على انتشار المجون في الكوفة متأثرين بالديانتين اليهودية والنصرانية.

كما يرى الدكتور البدوي أن بعض الشعراء الذين اتهموا بالزندقة مثل بشار بن برد وحماد عجرد وأبان اللاحق، لم يكونوا زنادقة بالمعنى الصحيح، ولكنهم اتفقوا جميعا في غلبة روح الاستخفاف والعبث فيهم، وأن أبا نواس كان صادقا في تسميتهم بعصابة المجون، ولو أنه كان فردا منهم، فهم أقرب إلى الشك والمجون من الإيمان والجد، وهم أولى باسم الشكاك العابثين باسم الزنادقة الملحدين.

أغن تيار المجون لم يكن نزعة بريئة ساذجة يدعو إليها الترف والتطرف الاجتماعي فحسب، ولكنه كان نتيجة مؤثرات عميقة كالمذاهب الدينية والفكرية المختلفة، والتطورات الخطيرة التي حدثت في تكوين المجتمع الإسلامي في القرن الثاني.

وقد تفنن الشعراء المجان في وصف الخمرة ونشوتها وآثارها في الجسد والعقل، ووصف دنانها ومجالسها وندمانها وسقاتها وكانوا عادة من النصارى والمجوس واليهود، وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر، كما يزينون قاعة الشراب بالرياحين، وفي ذلك يقول أبو نواس:

ودار نـــــــــــدامى عـــــطـــــلوها وأدلـــجـــوا بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جر الزقاق على الثرى وأضغاث ريحان جني ويابس

حبست بها صحبي فجددت عهدهم وإني على أمثال تلك لحابس

ويروي الصولي أن أبان بن عبد الحميد أظهر من لتهالك على الشراب والمجون ما جعل أباه ينصحه ان يخرج إلى بعض البساتين لعله يسلو الخمر، وغاب فيها طويلا، فكتب إليه أبوه يتشوقه، فرد عليه أبان بقوله:

يا أبي لا ترث لي من غيبتي أنا في خير ولهو ودعه

ومعي في كل يوم مسمع حاذق يطربني أو مسمعه

وندامى كمصابيح الدجى كلهم يأخذ كأسا مترعة

وكانت الأديرة لروادها تقدم لروادها الخمر المعتقة، وقد استحالت قاعات شرابها إلى مجتمعات لطلاب الخمر والمجون من الشعراء وغيرهم، وكانت تلك الأدبرة متناثرة في ضواحي بغداد وغيرها من مدن العراق، وترى الشعراء المجانين يذكرون خمرها ونشوتها ورهبانها وراهباتها من مثل قول أبي نواس.

يا دير حنة من ذات الأكيراج من يصح عند فإني لست بالصاحي

رأيت فيك ظباء لا قرون لـــها يـــــــلعبـــــــــن مـــــنا بألبـــــــــــــــــــاب وأرواح

ويقول شاعر آخر يصف اللهو بالأديرة:

يـــــا لــــيالي بــالمـــــــطيـــــــــرة والــــــــــكر ح ودير الوسي بالله عودي

كنت عندي أنموذجات من الجن ة لكنها بغير خلود

وكما عملت الأديرة عملها في إفساد أبناء المسلمين، عمل الفرس والمجوس عملهم التخريبي المجوني، حيث كانوا يحتفلون بهذه الأعياد المجوسية ويتساقون الخمر على أصوات الموسيقى والغائبات اللواتي يأخذن في بألباب الحضور من المجّان، ومن أهم أعيادهم عيد النيروز، وكانوا يحتفلون به احتفالات صاخبة، وفي يقول أبو نواس:

أنا ترى الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا

وغنّت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا

أما النقائض التي كانت تجري بين هؤلاء المجان، فكانت تمثل أقصى أنواع المجون والتهتكـ فأبو نواس ومسلم ابن الوليد يتعارضان في المفاضلة بين البكر والسيد ويقول أبو نواس:

قالوا عشقت صغيرة فأحببتهم أشهى المطي إليّ ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحبّة لؤلؤ لم تثقب

ويعارضه مسلم ابن الوليد قائلا:

إن المطية لا يلذ ركوبها حتى تذلل بالزمام وتركبا

والحبّ ليس بنافع أربابة حتى يؤلف في النطا ويثقبا

ويرى بعض الباحثين أن الشذوذ والتهتك الذي وصل إليه أفراد هذه العصابة له جذور في الإباحية المزدكية.

ومثل هذا الغزل الماجن حماد عجرد في " جوهر "، جارية ابن عون نافع ابن عون يقول فيها:

إني لأهوى جوهرا ويحب قلبي قلبها

وأحب من حبي لها من ودّها وأحبها

وأحب جارية لها تخفي وتكتم ذنبها

ومما سبق يتبين أن تيار المجون كان اتجاها من اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي كما عمل على إشاعة هذا التيار اليهود والنصارى، وما كساها ما بعد خلفاء بن العباس وكان له دور بارز في انتشار هذا النوع.

**\*شعر الزهد والتصوف:**

إن هذه الموجة من اللهو والمجون التي سبق الحديث عنها في العصر العباسي، كانت مقصورة على البيئات لمترفة التي أفسدها الترف وعلى الحالات، أن معظم المجتمع المسلم في العصر العباسي لم يكن يعرف الترف، إنما كان يعرف شظة العيش، ويعيش بتقوى الله، ويهتدون بهدي الإسلام الذي منّ الله على عباده، كانت حياتهم كلها خشوع وزهد واحتقار لمساعي الدنيا في جانب ما يؤمله من متاع الآخرة، في سبيل كسب تواب عظيم.

وكان الخلفاء إذا سمعوا من مواعظهم شيئا غلب عليهم التأثر، حتى لو كان أحدهم في مجلس أنس، ويرسم ابن الرومي صورة بديعة للزاهد في ذلك العصر، بقوله:

بات يدعوا الواحد الصمد في ظلام الليل منفردا

في حشاء من مخافته حرقات تلدغ الكذب

هناك سببين في انتشار هذا النوع: يرجع السبب الأول الذي عزاء الدكتور شوقي ضيف بالاتصال بالرهبنة المسيحية، أما الإسلام فلا زهد ولا رهبانية فيه إلا رضا الله.

أما السبب الثاني الذي أرجعه الدكتور شوقي ضيف هو كثرة الحروب وظلم الحكام والولاة، كما لاحظ توم كريمر تأثير العلاقة المسيحية، وقرر أن المسيحية أدت إلى نمو عناصر الزهد، وكذلك الشاعر برولكمان في حديثه عن أبا العتاهية، في نشأة التصوف، كلهم يرجعون نشوء الزهد إلى عناصر مسيحية، يقول أبو العتاهية في الزهد:

سقى الله عبادان غيثا مجللا فإن لها فضل جديدا وأولا

وثبّت من فيها مقيما مرابطا كما رأى عنها له متحولا

وقد حاول جولد تيهر أن يربط بين مقدمات نزعة التصوف الإسلامية وبين تعاليم الأفلاطونية، وما يتصل بها من مذهب الفيض ووحدة الوجود.

وسيرة ابن الأدهم كما صورها بعض من تحدثوا عن أخباره ويحكي محاكاة تامة سيرة بوفا، إذ يقال أنه كان ابن ملك من ملوك بلخ.

وهذه السيرة كما صورها جولد تيهر، إنما من صنع الأجيال المتأخرة، فلا يصح أن تحمل على العصر العباسي الأول.

إن الزهد الإسلامي وما ارتبط به من مقدمات التصوف كانت تجري بجانبه من زهد فاسد وهو زهد الزنادقة، ومعنى ذلك أن العصر العباسي الأول شهد لوننين من لزهد: زهدا إسلاميا خالصا، وزهدا ماناويا مارقا، وهو الذي يمكن أن يوصل بينه وبين البوذية.

ولعل تيار الزهد والتصوف كان رد فعل لتيار المجون والخلاعة في ذلك العصر، هدفه إيقاف تيار اللهو والمجون والقضاء على أسباب الفتنة التي يقوم بها فئة من الأمة.

ويبدو أن أول شعر يعبر اتجاه الزهد في القرن الثاني الهجر، هي تلك المقطوعات الدينية العميقة التي شدت بها رابعة العدوية في أوائل القرن الهجري الثاني.

ويرى الدكتور عبد الرحمان بدوي أن رابعة العدوية تنتسب إلى الجيل الأول من الصوفية المسلمين الحقيقين، الذين أشاعوا في التصوف روحا جديدة على التطور العام للحياة الروحية في الإسلام. كما يرى الدكتور عبد الرحمان بدوي أن عناصر مذهبها الصوفي قد مر بتطورات كثيرة، وان الجديد فيه الذي ربما صار أساسا للصوفية فيما بعد ومن شعرها متغيلة من الذات الإلهية قولها:

أحبك حبين: حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك

فأن الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

ويأتي بعد رابعة العدوية أبو العتاهية، أو الشعر الديني في الأدب العربين حيث يستخلص خلف الله من شعر أبا العتاهية فكرتين أساسيتين:

**الأولى:** زوال الدنيا وغرورها وباطنها.

**الثانية:** هول الموت ووحشة القبر وبشاعة الثناء

نلاحظ أن الفكرة الأولى عادية موجودة في القرآن الكريم وأقوال الزهاد.

أما الثانية فموقف الشاعر فيها غريب، لأن في تصوير البين يقف موقف الساخط المتشائم الذي يكره الموت والبلى

ويدور شعر أبا العتاهية حول الإنسان، من حيث سعيه في الحياة الدنيا، كله كان حريصا كل الحرص على زخرفتها وزينتها، ولابد من الرفق وحسن الخلق والتسامح في معاملة الناس، وخلاص النفس من شرها يكون في رضاها بواقع حالها، حيث يقول:

طرق إلى الدنيا إلى أي غاية فموت إليها كالمنايا وراءها

ويحمل أبا العتاهية ثورة عاتية في مديح التكسب بشكل عام:

إن الملوك بلاء حيثما حلو فلا يكن لك في أكتافهم ظل

ماذا ترجي بقوم إن هم غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا

وكان صادقا في نصحه للحكام، يبصرهم ببأس الرعية وهوان ـأمرها، وكساب مالها، وانحطاط قدرتها على الثراء قي قصيدته:

من مبلغ عني الإمام نصائح متوالية

إني أرى أسعار الرعية غالية

وأرى المكاسب نزرة وأرى الضرورة فاشية

فهذه شجاعة أدبية لا تصدر إلا عن زاهد واعظ يرى أن الحق أحق أن يتبع ولا يخشى أن يسدى النصيحة الحقّة لهؤلاء الحكام، لأنه يرى أنهم ساسة الأمة ورعاتها، وعليهم أن يتميز بالعدل والرحمة.

ومن الزاهدات التي سارت سيرة رابعة العدوية ريحانة فمن شعرها في كراهية الدنيا:

وما عاشق الدنيا بناج من الرداء ولا خارج منها بغير غليل

فكم من ملك قد صفر الموت بينه وأخرج من ظل عليه ظليل

ومن شعرها وهي تنشد الجنة لوجود الذات الإلهية فيها:

بوجهك لا تعذبني فإني أؤمل أن أفوز بخير دار

منجزة مزخرفة على العلالي بها المأوى ونعم هي القرار

ومن شواعر العشق الإلهي المتزهدة " ميمونة " فمن شعرها في المكاشفة:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرون

وألسنة بر قد تناجي تغيب عن الكرام الكاتبين

ومن شعراء الصوفية عبد الله بن المبارك، لكنه في منهجه يرفع الجهاد فوق العبادة درجات، ويقول أن الإسلام أعلى الجهاد على النسك فأجابه: القراء ضربان: قوم طلبوا هذا الأمر ( أي قراءة القرآن) لله، وقوم طلبوه للدنيا، وأولئك أدر على الناس من الشرط، وألحق بجوابه هذه الأبيات:

يا جاعل الدين له بازيا يصطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين

وفي هذا القدر ما يكفي لإعطاء صورة عن تيار الزهد والتصوف في العصر العباسي، ذلك الذي كان اتجاها جديدا من اتجاهات الشعر العربي يعاكس الاتجاه الماجن الذي شاع على أيدي فئة من المتزندقين أو التي لا ترعى في لدين والأخلاق أي حرمة.